بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الأطهار الطيبين، أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الإمام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق رضي الله عنه لم يكن يعتمد فى كتاباته على مجرد البحث الأكاديمى فى إسلامياته ومؤلفاته عن السادة الصوفية ـ رضوان الله عليهم ـ ولكنه كان، بالإضافة إلى ذلك، مطبِّقاً للفكرة التى يؤمن بها ، ومن كان كذلك يصل كلامه إلى القلب مباشرة، ويتأثر به القارئ ، ولعل دراسة متأنية لما كتبه عن الشخصيات الصوفية توضح أنه كان منفعلاً بها ومتفاعلاً معها، ويظهر ذلك بوضوح فى كتابه **«الحمد لله.. هذه حياتى»** فهو لم يكن مجرد سرد تاريخى أو ذاتى ، بل هو أيضاً استخراج لكثير من الأسس والمبادئ التى آمن بها وطبَّقها على نفسه قبل أن يطلب من الآخرين الاقتناع بها والعمل على تطبيقها .

لقد درس الإمام الأكبر عبد الحليم محمود رضي الله عنه مذهب النَّصِّيين، ودرس علاقة اليقين بالعقل، ودرس المذاهب العقلية سواء فى الجو الإسلامى أو الغربى، وعن هذه الدراسات جميعاً، مع دراسة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، يقول الإمام عبد الحليم محمود رضي الله عنه :

« وانتهيت من دراسة الدكتوراه وأنا أشعر شعوراً واضحًا بمنهج المسلم فى الحياة وهو منهج الاتِّباع، إن ابن مسعود ﷺ يقول عن هذا المنهج كلمة موجزة كأنها إعجاز من الإعجاز: « **اتَّبعوا ولا تَبتدعوا فقد كُفيتم** » . . لقد كُفينا، وعلينا ـ إذن ـ الاتّباع ، وبعد أن وقر هذا المنهج فى شعورى، واستيقنته نفسى، أخذت أدعو إليه: كاتباً ومُحاضِراً ومدرساً، ثم أخرجت فيه كتابًا خاصّاً هو «**الإسلام والعقل** »، وكل ما كتبته عن التصوف والشخصيات الصوفية فإنما يسير فى فلك هذا المنهج «**منهج الاتِّباع**» ا هـ.

لقد اختبر الإمام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الإسلام الطرق الكلامية والنصِّية، فلم يجد الطريق الصحيح إلا فى العبودية والاتِّباع.

فكان من أمر الشيخ عبد الحليم محمود ﷺ أن أصبح هو الفضيل بن عياض وهو الإمام الغزالى وهو الشيخ الأكبر محيى الدين ابن عربى، حتى وصل به الأمر أن امتزج امتزاجًا كاملاً بالمدرسة الشاذلية فكان قطبها ، ولُقِّبَ بأبى الحسن الشاذلى القرن العشرين ، ولُقِّبَ أيضًا بأبى التصوف فى العصر الراهن ، فلقد كان إليه ﷺ المرجع والفُتيا وريادة الفكر الإسلامى والتصوف فى العصر الحديث.

لقد كتب الإمام عبد الحليم محمود ﷺ هذا الكتاب عن الإمام الفضيل بن عياض ﷺ مبينًا الموقف الذى يجب أن يتخذه كل صوفى وكل داعية إلى الله تعالى، فهذا ليس حديثًا عن سيرة ذاتية

للإمام الجليل بقدر ما هو دراسة علمية وافية للطريق إلى الله . . فى جانب من جوانب حياة صوفى من الرعيل الأول، من الذين أحبوا أن يَفْنَوا فى الله سبحانه وتعالى، وأن يقوموا به، وأن يتخلقوا بأخلاقه . . أن تفنى شخصيتهم فى إرادته تعالى، فى حبه، فى مرضاته . . أن يسترسلوا معه كما أحب، لا يكون لهم هوى فى غير شريعته، ولا تكون لهم إرادة فى غير ما أمر . . أن يذوبوا فى محيط الإطلاق .

ولا أملك سوى أن أضرع إلى الله أن يهيِّئ لهذا التراث الإسلامى فى كل عصر من يوضحه، ويجدّده، ويثريه، ويحييه . . بالبحث، وبالسلوك وبالعلم؛ حتى يكون فى العالم الإسلامى ـ فى كل وقت وزمن ـ من يمثلون قمم العلم ومكارم الأخلاق .

هذا . . وبالله التوفيق .

أ. د / منيع عبد الحليم محمود

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر